المحاضرة الأولى: الكلاسيكية في الشعر العربي الحديث.

الشعر إحساسٌ داخليٌّ يجسّد حالة وجدانية ولحظاتٍ شعورية نابعةً من الذات الإنسانية الشاعرة، وهو خاضعٌ لما نسمّيه (التطور والتقدّم) على مرّ العصور في تدفّق استمرارية الزمن.

ولعلّ شعرنا العربي خاضعٌ لمفهوميّ التطور والتقدّم بالإضافة إلى مفهوم التجديد في مختلف عصوره الشعرية، منذ العصر الجاهلي مروراً بعصري صدر الإسلام والأموي، ومن ثمّ العصرين العباسي والأندلسي والعصرين المملوكي والعثماني، انتهاءً بالشعر الحديث.

ويتّضح لدينا أنّ:

١- التطور: يعني في مفهومه الأدبي (على النقيض من التقدّم ولا يكون مسبوقاً بتخطيط، ولا مستهدفاً لغاية، ولكنّه – بصفةٍ عامة– انتقالٌ من المختلف إلى المؤتلف، ولا يتضمن التطور في ذاته فكرة التقدم أو التقهقر، وإنّما يعبّر عن التحولات التي يخضع لها الكائن أو المجتمع سواءٌ أكانت ملائمة أم غير ملائمة).

٢- التقدّم: أمّا التقدّم فهو (بوجهٍ عام؛ مجرّد السير إلى الأمام في اتجاهٍ معيّن دون حكم على قيمة هذا السير، لكنّه – بوجه خاص– انتقالٌ تدريجي من الحسن إلى الأحسن، كالتقدم الحضاري، والتقدم مسبوق بتخطيط).

٣- التجديد: الجديد له معنيان: زمني هو آخر ما يستجد، وفني أي ليس فيما أتى قبله ما يماثله. أمّا التجديد فهو اختيار الأصيل من التراث بعناية ودقة، ليلائم روح العصر، ويطوّر حاجة الحياة المعاصرة والحضارة الجديدة.

ويجب أن يكون التجديد قائماً على أسسٍ فنية، وأسلوبٍ منسق، ومعرفةٍ عميقةٍ بطبيعة الإنتاج الفني، أما قاعدته فيجب أن تكون قائمةً على أسس الجمال الفني والإبداع المتطور، والذوق العالي.

وبذلك يتبيّن لنا أنّ الشعر العربي قد خضع لتطورات أدت إلى تحولات بغضّ النظر عن التقدّم الذي يحصل فيها. وتُطلق تسمية (الشعر الحديث) على الشعر الذي نشأ منذ مطلع عصر النهضة العربية، وشمل أربع حركات شعرية: (الحركة الشعرية الكلاسيكية (الشعر التقليدي شعر مدرسة الإحياء)، الحركة الشعرية الرومانسية وما جاء بعدها من الحركات الشعرية الواقعية والرمزية والسريالية، وحركة شعر الحداثة العربية (الشعر الحر) التي شكّلت تجاوزاً وانقطاعاً عمّا سبقها، وحركة قصيدة النثر) والمراحل السابقة على شعر الحداثة العربية انطوت على بذرتها وكانت إرهاصاً لها.

- مصطلح الكلاسيكية:

مصطلحٌ غربي (Classical)، والكلاسي والكلاسيكي: مصطلحٌ خاصّ بنمط أدبي قديم يُعدّ ذا أهمية على الرغم من حدوثه في العصر الحالي. وورد في معجم المصطلحات الأدبي تعريف الكلاسيكية ما يلي:

تعني بصفتها مذهباً أو اتجاهاً أدبياً (التقليدية أو الاتباعية) فهي المبادئ أو الأساليب الملتزمة في آداب قدماء الإغريق والرومان، أو فنونهما. وهي المعايير التقليدية (البساطة، الاعتدال، تناسب الأجزاء) المعترف بها في كلّ زمان] ومكان. وهي في الأدب الأوربي محاكاة لإحياء التقاليد الأدبية (الإغريقية والرومانية).

٢. تطور مفهوم الكلاسيكية في الغرب:

- كان يُقصد بالكاتب الكلاسيكي كاصطلاح مضاد للكاتب الشعبي أي الكاتب الأرستقراطي الذي يكتب من أجل الصفوة المثقفة.

. في عصر النهضة طُبِّق مفهوم الكلاسيكية على الأعمال اليونانية واللاتينية القديمة كونها ذات قدرة على الارتفاع إلى مستوى التراث الإنساني الرفيع.

. تطور مفهوم الكلاسيكية وأُطلق على الأدب الذي جسّد المُثل الإنسانية (الحق، الخير، الجمال)، وهي مثل ثابتة لا تتغير وبذلك انفصل مفهومها الأصلي عن الكلاسيكية الحديثة.

. وفي القرن التاسع عشر (نهايته ومطلع القرن العشرين)،كانت تعني الكلاسيكية الحديثة إرساء التقاليد الأدبية، وهذا ما كان يقوله الناقد المعاصر الإنكليزي(ت.س.إليوت)، فالأديب لا يبدع من فراغ، بل يعتمد النماذج والأساليب السابقة، وأشار إلى أصالة العمل الأدبي الجديد في أنها تتمثل في الإضافة وليس فقط في التقليد.

٣. سماتها. أسسها:

تنطلق الكلاسيكية بوصفها نظرية أدبية من نظرية المحاكاة، وهي التي نادى بها أرسطو، وبذلك فإنّ شعرية النص الكلاسيكي هي المحاكاة أي اتباع القدماء وتقليدهم. وتتجلى سماتها أو أسسها في الآتي:

١ الاهتمام بالشكل التعبيري: وذلك باتباع قواعد صارمة في الكتابة والتأليف، ومحاكاة التراث القديم، مثل إلياذة هوميروس.

٢ العقلانية: العقل عماد الأدب الكلاسيكي، فالمنطق العقلي يرفع من قيمة النص الكلاسيكي ويحيد به عن الخيال الجامح، والعاطفة الملتهبة التي تؤدي إلى الخيال الخلاق، كما أنّ الأدب يقوم على التفكير والذوق السليمين.

٣ تقليد القدماء: في اللغة من حيث الألفاظ والتراكيب، وفي الموضوعات، وفي الأساليب، واللغة تكون بعيدةً عن لغة الحياة ، وهي واضحة في معناها ولفظها، وبعيدة عن الشاذّ والقبيح.

٤ الصنعة الفنية: اهتمّ الكلاسيكيون بالصورة الفنية التقليدية، على أن نكون تزيينية وضح الفكرة المرادة.

٥ مشاكلة الحياة والصدق الفني: تتميز القصيدة الكلاسيكية بالصدق الفني، والمعالجة المنطقية، التي بتوفر فيها العرض السليم، والتأزيم المرحلي.

٦ النزعة الأخلاقية: الاهتمام بالأدب وبرسالته التي تُرسل إلى متلقٍّ، فيكون الأدب واعظاً معلماً أو هاجياً وناقداً للمجتمع وظواهره.

الكلاسيكية في الشعر العربي الحديث:

أ. الإرهاصات التي أدّت إلى نشوء الشعر العربي الحديث:

مرّ الشعر العربي بمرحلة جمودٍ وضعفٍ وانحدار الشعر منذ القرن الرابع الهجري، ولا يمكن غض النظر عن ظهور شعراء عظام في ذلك القرن وما تلاه. فاتّسم الشعر بعدّة سمات، وهي ما مرّ به الشعر العربي في العصرين اللاحقَين المملوكي والعثماني:

١. الضعف الذي رافقه نتيجة الضعف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري، بسبب انحصار الشعر العربي في قوالب محدّدة وموضوعات محدّدة مما أدى إلى التقليد والتكرار.

٢ . ضعف لفكرة وضحالتها، والاهتمام بالزخارف البديعية ، وتهافت الصباغة.

٣ . تلقّف الأشكال الشعرية الشعبية كالموشح والزجل.

٤ . سوء الأحوال في العصر العثماني، ومحاولة فرض اللغة التركية، وتقليد المعاني الشعرية القديمة، ونشوء أنواع شعرية مثل الأحاجي، والتوريات..وغيرها.

ب. الحملة الفرنسية على مصر(بداية النهضة العربية الحديثة ١٧٩٨):

ظهرت النهضة الحديثة إثر حملة نابليون على نصر، وزيادة اهتمام العرب بالثقافة والأدب القديم، وانتشار الطباعة والصحافة، والمدارس والجامعات، والاطلاع على أدب الغرب.

وتمثل الاتصال بالغرب في: (إقبال علماء الغرب على نشر ذخائر التراث العربي، انطلاق أبناء الشرق إلى أوربا للنهل من ثقافتها، تراوح شعر شعراء ذلك الجيل بين التقليد والانجذاب إلى موضوعات نابضة بالحياة).

جـ. العوامل التي أدّت إلى ظهور الشعر العربي الحديث:

١. بدأ الإحساس بالنفور من الأدب التقليدي في عصر الانحسار من قبل الشعراء منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وكان ذلك إيذاناً بافتتاح عصرٍ جديد تزول فيه القيم الأدبية للعصور الوسطى، وتزدهر القيم العربية الأصيلة والعربية المستحدثة.

٢. بدأ الفكر الأوربي بالتغلغل في الفكر الشرقي العربي منذ الحملة الفرنسية، وانفتاح مصر على أوربا وبلاد الشام ، ونظام البعثات التبشيرية في لبنان ونظم التعليم الحديثة.

ومن ذلك قول الشاعر رزق الله حسون ١٨٨٠ تعبيراً عن وجوب ردّ الشعر إلى طبيعة مهمته فيكون غذاء للنفوس:

ليتَ شِعرِي متَى أرَى شُعراءَ	**الشَّرقِ يوْماً بِفضْلِهم أغْنيَاءَ**
ورِثُوا مَن تقَدَّمَ فنَالُـــــوا	**شَرَّ إرثٍ مذلّـــــةً وشقاءَ**
إنَّما الشِّعرُ للنفوسِ غذاء	**أفسَدُوهُ فصـــــيَّرُوه هذَاءَ**
يتبعُ الشِّعر أهلهُ فَامتِهَاناً	**وَابتذالاً أو عِزَّةً وإبـــــــاءَ**

٣. عجّل التطور السياسي بإحداث ثورة التجديد في الشعر، فقد كان لظهور فكرة القومية والشعور بالانتماء إلى الوطن دورٌ كبيرٌ في إحداث التطور والتقدم، كالثورة العربية في مصر والمهدي في السودان، وامتداد الحركة القومية العربية في مواجهة الحكم العثماني في الشام.

٤. رأى شعراء هذه المرحلة التجديد كامناً في الارتداد إلى الينابيع الأولى للشعر العربي، فقد اطلعوا على دواوين الشعراء العظام، وعارضوا شعرهم في الأسلوب النقيّ وصيغهم وصورهم ورفعة لغتهم، فكان هدفهم إعلاء شأن اللغة وقيمتها الحضارية والإنسانية.

حركة إحياء التراث العربي:

انطلقت الحركة الشعرية الكلاسيكية ورائدها محمود سامي البارودي في مصر (١٩٠٤) تشيع التجديد في حركة اتباعية كلاسيكية يتمّ بها استحياء التراث العربي القديم ومحاكاة نماذجه الرفيعة، ضمن قالب القصيدة العربية القديمة في إطارها العام. فاتّسم الشعر الإحيائي لدى الشعراء التقليديين بـ:

١. استحياء التراث ومحاكاة نماذجه من حيث المعاني والصور والأخيلة ونهج القصيدة والأسلوب وموسيقا الشعر (البحور الخليلية والقافية والروي).

٢. البعد عن اللين والضعف في صياغة التركيب.

٣. إيقاع عالي النبرة يصلح للإنشاد في المحافل العامة.

٤. لا ينفصل الشعراء التقليديون بوجدانهم عن التجارب الذاتية، ولا عن القضايا السياسية والاجتماعية في عصرهم.

أمّا السمات والأسس التي قامت عليها الكلاسيكية العربية فهي: ورد في كتابي (الوسيلة الادبية لحسين المرصفي، ونقد ديوان شوقي لمحمد المويلحي) وأجملها د. نعيم اليافي في كتابه (أوهاج الحداثة) كما يلي:

١. السهولة والوضوح: تجنب الشاعر الكلمات الغامضة، والتعقيد في التراكيب، وأن يسابق لفظه معناه نحو قلب السامع.

٢. الابتكار: حدّهُ إصابة المعنى، وحسن في الاستعارة، ولطف في الإشارة دون خفاء.

٣. السبك: جودة في التركيب، وجمالٌ في السياق ومتانة، وتخيّر في الألفاظ، بحيث تكون مناسبة لمعانيها، لائقة في مواضعها، لا يقوم غيرها مقامها، ولا يفيد سواها إفادتها.

٤. وحدة البيت: يستقلّ كل بيت في القصيدة بإفادته في تركيبه ومعناه عمّا قبله وعما بعده، حتى يبدو وكأنّه كلامٌ تامٌّ في مقصوده، قائمٌ بذاته.

٥. الوزن والقافية: مراعاة الوزن الواحد، والروي الواحدة.

أ. رائد حركة إحياء التراث العربي: محمود سامي البارودي:

لعلّ البارودي شاعر الكلاسيكية العربية، وصاحب حركة إحياء التراث العربي أو كما سميت (حركة البعث)، وكان رائدها بحق، إذ لم يقتصر دوره على إحياء الشعر بل كان صدى لعصره، وانطلق شاعراً مطوّراً، وصف العالم الخارجي وعبّر عن مجتمعه، وبعث الشعر في معانٍ جميلة، وجزالة محببة، وصوّر حياة الشعب، إذ اشترك بالثورة العرابية، وناضل من أجلها، ونُفي بسببها سبعة عشر عاماً، وهذه التجربة الذاتية الحياتية أتاحت له التأمل والانفعال الوجداني الصادق، وبُعداً عن المحاكاة الآلية للنماذج العظيمة التي استوعبها ونجح في النسج على منوالها.

تميّز شعره فقُسم إلى قسمين: في أيام المحنة والاغتراب (١٨٨٢-١٩٠٠) كان ممتلئاً فنياً رصيناً، وحاكى شعراء القرنين الثالث والرابع (أبو تمام-البحتري-ابن الرومي) في أسلوبهم وصياغتهم، وأما في أواخر عهده فقد حفت شعره وفَتُرَ (١٩٠٠-١٩٠٤م).

ميّزات شعره:

١. يمتاز شعره بالقوّة وجزالة اللفظ، وفخامة النظم، ومتانة القافية وصفاء العبارة.

٢. ألفاظه قوية، تترفع عن ألفاظ البداوة ووحشيتها.

٣. أساليبه عربية قوية، متينة، رصينة السبك، حاكى فيها النماذج الرفيعة.

٤. دارت أخيلته بين توليداته في معاني الشعراء السابقين وأخيلتهم، وبين ما أثارته أحاسيسه المصرية الخاصة وهي بين مولدة ومخترعة.

٥. أغراضه: سار البارودي في طريقة الشعراء القدامى من فخرٍ ووصفٍ وغزل ومدح، وهجاء، ورثاء، وله شعرٌ في السياسة.

٦. قال عنه الشاعر اللبناني خليل مطران: (إنّ شعر البارودي هو بجملته صناعة لا تُقاس بقديمٍ أو حديث مع ابتكارٍ قليل وإحساسٍ فيّاض).

٧. أفرد أدونيس في كتابه (الثابت والمتحوّل) فصلاً كاملاً عن شعر البارودي، وفي رأيه تعود تسمية البارودي شاعر النهضة العربية إلى أسبابٍ يمكن إجمالها بالآتي:

أ. تقويمه بالقياس إلى ما سُمي (عصر الانحطاط).

ب. تقويمه بالقياس إلى حركة النهوض السياسي– الثقافي: التخلص من الاستعمار العثماني والانفتاح على الغرب.

جـ. تقويمه بالقياس إلى الارتباط بالقديم ارتباطاً إحيائياً.

د. تقويمه بالقياس إلى الروح العربية مقابل الاتجاه العثماني.

نماذج من شعره: يقول البارودي في محنة منفاه:

أبِيتُ في غُربةٍ لا النفسُ راضيةٌ	**بِها ولَا الملتقَى مِن شيعَتِي كَثَبُ**
فلا رفيقٌ تَسُرُّ النّفْسَ طلعَتُهُ	**ولا صديقٌ يَرَى ما بِي فيكتَئِبُ**
ومِن عجائبِ ما لاقيتُ من زمنِي	**أنِّي مُنّيتُ بخطبٍ أمرُهُ عجبُ**
لم أقترفْ زِلَّةً تقضي عليّ بِما	**أصبحتُ فيهِ فماذا الويلُ والحربُ**
فهل دِفاعي عن ديني وعن وطنِي	**ذنْبٌ أُدانُ بِه ظلماً وأغتربُ**
أثريت مجداً فلم أعبَأ بِما سلبَتْ	**أيدي الحوادثِ منِّي فهو مكتسَبُ**
لا يُخفضُ البؤسُ نفْساً وهي عاليةٌ	**ولا يُشيدُ بذكرِ الخامل النّشبُ**

قال في الزهد:

ألهتكم الدنيا عن الآخرهْ	**وهي من الجهلِ بكم ساخرهْ**

وقال في الوصف يصف الهرمين:

بناءان ردّا صولةَ الدّهرِ عنهما	**ومن عجَبٍ أن يُغْلِبا صولةَ الدّهرِ**
فكم أمَمٍ في الدّهر بادت وأعصرٍ	**خلتْ وهما أعجوبةُ العينِ والفكرِ**

تتسم الأبيات السابقة بما جاء في سمات الكلاسيكية من وضوح الفكرة والسبك الجيد، والتعبير عن الذات والحياة، وأجاد في أغراض الشعر، والمحافظة على الإطار العربي القديم للقصيدة العربية بما يُسمى (عمودية القصيدة العربية القديمة)، والوزن والقافية والروي.

ب. أحمد شوقي:

من شعراء الكلاسيكية العربية، ولد في القاهرة ونشأ فيها، تخرج من كلية الحقوق، وذهب إلى فرنسا، احتكّ بالغرب عن قرب، وكوّن صداقة عميقة مع شاعر الإبداعية بول فاليري. وبويع بإمارة الشعر وسُلّم لواءه عام ١٩٢٧م، ومن ذلك قول الشاعر حافظ إبراهيم في قصيدته التي قالها حينما حصل أحمد شوقي على لقب أمير الشعراء:

أميرُ القـــوافي قد أتيـــــتُ مبايعاً	**وهذي وفودُ الشرقِ قد بايعتْ معي**

حاول شوقي أن ينهج طريقاً فريداً، في التجديد لكنّ الإرث القومي وارتباطه العميق بالتراث حالا دون الانفلات الكامل من القديم، لديه القصة الشعرية، والمسرح الشعري (مجنون ليلى– ومصرع كليوباترا).

دلائل القدرة الشعرية لدى أحمد شوقي:

١. **الدليل الأول:** من الشعراء الذين فهموا التراث بوصفه ارتباطاً بروح الأمة، فكان صوته صوت شعبٍ وعصرٍ ورسالةً سامية. وكانت لديه القدرة على تجاوز المادة التاريخية إلى ما هو أغنى أي الحالات الروحية التعبيرية.

مثال: يحافظ أحمد شوقي في الأبيات الآتية على الإطار القديم، ويصدّر قصيدته (في ذكرى المولد بدفعة روحية تعبيرية)، يقول:

المجموع (المنن)، يقول (الشوقيات):

فمَن يغترُّ بالدُّنيا فإنِّي	**لبِستُ بِها فأبليتُ الثِّيابا**
جنَيْتُ بروضِها ورداً وشوكاً	**وَذُقتُ بكأسِها شهداً وصابا**
فلَم أرَ غيرَ حُكمِ اللهِ حُكماً	**ولمْ أرَ دونَ بابِ اللهِ بابا**
ولا عظّمْتُ مِنَ الأشياءِ إلّا	**صحيحَ العلمِ والأدبَ اللُّبابا**
ولا كرَّمْتُ إلّا وجْهَ حُرٍّ	**يُقلِّدُ قومَهُ المِنَنَ الرغابا**

٢. الدليل الثاني:

جدّد في عنصري الموسيقى والإيقاع الشعري، واستعمال الأوزان القصيرة، فجمع بين (الإيقاع/ المدلول)، و(الموسيقى/النَّفَس)، و(الإنسان/الحياة)، يقول في قصيدة (أثر البال على البال) مصوّراً وواصفاً مشهداً راقصاً في قصر عابدين فنرى فيه تجسيداً للحركة وشاقتها:

حَفَّ كأسَها الحَبَبُ	**فهِي فضَّةٌ ذهبُ**
أو دوائرُ دُرَرٍ	**مَائجٌ بِها لَبَبُ**
أو فَمُ الحبيبِ جَلَا	**عَن جُمانِهِ الشَّنَبُ**
أو شقيقُ وَجْنتِهِ	**حينَ لِي بِهِ لَعِبُ**

٣. الدليل الثالث: العاطفة الهادئة والمركزة في شعره، والخاضعة لسلطان العقل والمنطق، والفن، مثال ذلك قوله في وفاة سعد زغلول، إذ إنّه يتمتع في البيتين بقدرة على ضبط العاطفة والانفعال، وهنا يتمنى أحمد شوقي لو أنّه في مكان يوشع نبيّ الله حينما استعان بالله أن يؤخر له مغرب الشمس فاستجاب الله له:

شيّعُوا الشّمسَ ومالوا بضحاها	**وانحنَى الشرقُ عليها فبكاها**
ليتَنِي في الرّكبِ لمّا أفَلَتْ	**يوشَعٌ، همّت، فنادى، فثناها**

٤. الدليل الرابع: الخروج إلى الإطارِ الإنساني العام، ذي القيم الإنسانيّة المجرّدة التي تحمل الحكمةَ.

مثال: من أبياته التي تسير مسرى الأمثال:

وما نيلُ المطالِب بالتّمنّي	**ولكن تُؤخَذُ الدُّنيا غلابا**
وما استعْصَى على قومٍ منالٌ	**إذا الإقدامُ كان لهم ركَابا**

جـ. معروف الرصافي:

في عصر الشاعر معروف الرصافي انقسمت المدرسة الكلاسيكية إلى مدرستين:

المحافظة: وقد احتذى فيها الشعراء حذو القصيدة القديمة فقلّدوها.

المجدّدة: نوّعَ شعراؤها في أغراض الشعر وزادوا عليه وفيه، ونظموا القصة الشعريّة والتّاريخية، والرّواية التمثيليّة، وحافظوا على الأساليب القديمة.

وكانت بداية النهضة في العراق ١٩٠٨م. أمّا شاعرنا الرصافي، فتأثّر بحركة التجديد في المدرسة الكلاسيكيّة الجديدة، وتأثّر بشعراء الترك، وبحركة التحرر العثمانيّة التي قادَها حزب الاتّحاد والترقي العثماني، وبالحركات التحرريّة التي قامت في العالم العربي، وبالآراء الجديدة في العلم والمعرفة.

– منزلة الرصافي في الشعر العربي الحديث (مرحلة الكلاسيكيّة):

١. حصل الرّصافي على منزلةٍ وشأنٍ كبيرين، إذ لُقِّبَ شاعر العراق الأكبر.

٢. شاعر العراق في الصدارة من شعراء جيله.

٣. يُعَدُّ من حاملي لواء التجديد في الشعر.

٤. يتميّز بأفكاره التحرريّة والثوريّة وبآرائه في العدالة، وتحرير المرأة، وعداوته للاستعمار.

٥. صديقٌ لعددٍ كبيرٍ من الشعراء والمفكّرين العرب، فهو صاحب مدرسةٍ ممتازةٍ بطابعها، وله تلاميذه في العالم العربي وهم من ذوي الطليعة المتحرّرة.

٦. يمثّل شعره التيار الكلاسيكي المجدّد، كما يحمل ألواناً من الواقعية.

– المحتوى الشعري لدى الرصافي:

ونبدأ أوّلاً منَ المحتوى القديم ويشمل:

الوصف: مثل تصوير المشاهد والأبنية والحالاتِ النفسيّة.

٢. الشعر الاجتماعي، ويشمل وصفَ السجنِ، وأحوال اليتامى والتعليمَ في بغداد، ودعوته إلى افتتاحِ المدارس وتحرير المرأة.

٣. الشعر التاريخي والسياسي.

٤. شعر الغزل لديه قليلٌ، وأمّا قصيدة (إلى جميع الغواني) فهي عادية.

٥. لديه شعرٌ كثيرٌ في الطبيعة ويتّسم بالأصالة والشاعريّة.

٦. مدائحه قليلة وهي وليدة المناسبة، وله فخرٌ بنفسه وشعره وأدبه، وله رثاء.

٧. خلَق الرصافي أدباً ثوريّاً وحماسيّاً وطنيّاً في العراق.

أمّا المحتوى الجديدُ فكان:

١. مثلاً جدّد في موضوعات قصائده (قصيدة إيقاظ الرقود)، إذ تهكم فيها بالسلطانِ عبد الحميد وكانت خطيرةَ المحتوى.

٢. وضع قاعدة الالتزامِ الحديث في الأدب، وجعل من الأدب رسالةً نبيلةً سامية، وحتّم على الأديبِ أن يضع نفسه في خدمة المجتمع، يقول:

إذا أنَا قصّدْتُ القصيدَ فليسَ لي	**بهِ غيرَ تبيانِ الحقيقة مَقصد**

٣. وقف بجانب الشعب، وبجانب التقدّم والعدالة الاجتماعيّة والحريّة والمساواة.

٤. وتركّز تجديده في: (القصة الشعريّة، الشعر الفلسفي والعلمي، شعر الثورة والتمرّد على الظلم، الدعوة إلى تحرير المرأة).

مثال عن القصة الشعرية: (الفقر والسقام)، فالرصافي أحدث القصّة في الشعرِ، ولكنّها لم تصل إلى الملحمة. وتلك القصّة بطلها عاملٌ اسمه بشير، وأخته فاطمة يموتان من الجوع.

أمّا الشعر الفلسفي والعلمي: ففي ديوانه بابٌ كاملٌ من الشعرِ أطلق عليه الرّصافي اسم الفلسفيّات، وقصائده (خواطر شاعر – وجه ابن آدم – ما وراء القبر – لو – حقيقتي السلبية – حياة الورى – بين الروح والجسد)، وتتسم هذه القصائد بـ: (النظرات العميقة، والحكم العالية، والروح الواعية)، ويتركّز طابع الفلسفة في الكلام على النفس وما وراء الحياة، كما تأمّل الطبيعةَ وتأثر بأبي العلاء المعرّي، يُضمّن شعره الأمثال والحكم والتلميح إلى قضايا الفلسفة والحِججِ المنطقيّة.

ضمّن الرصافي بعض شعره إشارات إلى العلوم الاجتماعيّة والعصريّة والاختراعات الحديثة وعلم الفلك، مثل قصائده (تجاه اللانهاية – نحن على منطاد – الأرض) وهو باب الكونيات، وسيطر على شعره الفكر.

د. محمد مهدي الجواهري:

شاعرٌ عراقيٌّ كلاسيكيّ النهج مجدّد في شعره، إذ كان متصالحاً مع الأنموذج الكلاسيكي، ومشتغلاً على فكرة إثبات وجوده، وقدرته على أن يحيا في العصر بما يمتلك من مرونة وديناميّة وأصالة.

عظمته تأتي من كونه ((شهد أخطر حركات التجديد في القصيدة العربية وظلّ أنموذجه شاخصاً محترماً– حتى قبل زعماء التجديد أنفسهم، مما يؤكّد شاعريته وحضوره المميز)).

سمات شعره: الأدب العالي، المادة الممتعة، براعة المعنى، حرص على القديم من الشكل، ولم يخرج عن تفاصيل الأوزان المعروفة، والتزم القوافي الواحدة، في سائر قصائده تقريباً.

مثال من شعره يتكلّم على النفحة التعبيرية والعاطفة الجميلة التي تصله بالعراق والشام في قصيدة (ابنُ الشام):

إنّي شاميٌّ إذا نُسِبَ الهــوى	**وإذا نُسِبتُ لمــوطني فعراقي**
ويذيع منكِ البرق كامن لوعتي	**فيدي على قلبي من الإشفاقِ**
رقّت طباع بنيكِ فهي إذا انبرت	**سالــت كصفو نميرِكِ الرقراقِ**
كم في الجوانحِ لي إليهم زفرة	**كَمُنَتْ ليـــومِ تزوارٍ وتلاقي**
ورسائـــــل برقيّةٍ مهزوزةٌ	**أسلاكــها من قلبي الخفّاقِ**

لعلّ من أبرز الخصائص التي تميّز كلاسيكية الجواهري استناداً إلى مصدرين ديناميين لطاقةٍ لا تنضب: التمرد السياسي، وهو من مميزات الشعر العراقي منذ القدم، والذاتية والنرجسية التي تجعل من الأنا ضخمة متعالية كأنا أبي الطيب المتنبي. فالمتنبي هو الأنموذج الكلاسيكي المثال والمتخيّل بالنسبة للجواهري لامتلاكه الذات الضخمة، الأبية، المتصارعة.

نجد بعض السطحية والمباشرة في طرح الفكرة الشعرية وإلباسها ثوب النظم وهي لا تحيد عن نثريتها، وذلك (بسبب الثبات الصارم والتقليد القاسي للتراث من حيث مضامينه وشكله، وهذا يكفي لتفسير السطحية في بعض قصائده.

يقول محمد صابر عبيد في كتابه صوت الشاعر الحديث: ((كان –الجواهري– في إحساسه (المتمرد، والفاجع، والإنسان، والغريب)، يحاول بكل الأشكال أن يقنّعه بلبوس ما ورثه من الشعراء العمالقة مع الماضي عبر وعي اللغة القديمة وإثارتها والإحساس بها، وهو هنا يتخلى بشكل ما عن الحاضر ، عن وعي العصر والإحساس به)).

انتهت المحاضرة

مدرسة المقرر: الدكتورة إيمان عبد القادر